استراتيجيات الشباب حيال التشكيل الهوياتي في المجتمع الجزائري

أ.حمادوش نوال -جامعة سطيف -2-

الملخص:

نقترح من خلال هذه الورقة، تحليل آثار التغير في المنظومة القيمية الهوياتية و التي لا يمكنها إلا أن تتعلق بصورة أو بأخرى بمختلف صور اللاارتياح والتبعية الثقافية في المجتمع الجزائري.

ذلك بالانطلاق من كون أنه إذا وجد ميدان قادر على تجسيد مختلف الأوجه الرمزية والفعلية ذات الطبيعة السوسيولوجية للتغير الاجتماعي، فسيكون على الأغلب الميدان الهوياتي.

إننا نريد و من خلال هذا المقال محاولة الاجابة على التساؤلات التالية: كيف تحددت ولا تزال تتحدد الهوية .في المجتمع الجزائري، وماهي بالخصوص الاستراتيجيات الهوياتية المطورة من خلال الشريحة الشبانية في مواجهة هذه التحديدات.

Résumé :

Nous proposons a travers cet article, intervenir sur le changement de valeurs identitaires et indissociablement a propos des différentes formes de malaise et d'aliénation culturelle dans la société algérienne.

Ceci, en démarrant du fait que, s'il ya un domaine ou le changement recelant des dimensions symboliques de nature sociologique ou culturelles évidentes, c'est bien celui du changement de valeurs des identités.

Cette problématique, que son cadre analytique dépasse le fait que toute mutation de statut d'identité s'obéit uniquement a des considérations civilisationelles, politiques ou culturelles mais plutôt a d'autres variables liées aux interactions complexes entre les différents idiomes identitaires, existant au sein du paysage identitaire spécifique de l'Algérie.

المقدمة

لقد تم في الآونة الأخيرة تسجيل تعالي أصوات كل من المثقفين والمربين، وتذمرهم من الضياع والتشويه، الذين يتميز بهما الشاب الجزائري، إن كان ذلك على المستوى اللغوي أو المستوى الهوياتي بالرغم من عدم إبراز المحكَات الموضوعية المستخدمة لتحديد مظاهر الضياع والتشويه، مداهما، دركاتهما، أو على الأقل عدم توحدها.

فبالنسبة للغة مثلا: كثيرا ما انبهر المشرفون على تعليم اللغة العربية – ولا يزالون- من ضآلة وهرم نتائج تعلم اللغة العربية وإتقانها، من جهة؛ كما ينتقد و بشدة، المشرفون على تعليم اللغة

الفرنسية، مستوى تعلم هذه الأخيرة، من جهة ثانية، لينضاف إليهم، المشرفون على تعليم اللغة الأمازيغية، والذين لا ينكف التشاؤم يلفهم، من مستقبل تعليم هذه اللغة من جهة ثالثة تماما كما **يحدث بالنسبة للهوية،** حيث يؤكد البعض على أن جل الأجيال الشابة الجزائرية، إنما هي أجيال متأزمة هوياتيا، في حين يذهب البعض الآخر لصعوبة توصل الشاب الجزائري لرسم صورة واضحة عن الذات، و عدم قدرته على التموضع ضمن التناقضات، الصراعات و الرهانات التي غالبا ما يكون هدفا لها.

هذه الرهانات التي غالبا ما تقام حول **اللغات/الهويات** في المجتمع الجزائري، حيث يتزامن ظهورها، بظهور عدة إشكاليات مرحلية، منها ما تعلق بمدى فعالية السياسات اللغوية، و بروز مشكلات حولها وحول التكوين بها، بمعطيات و أبعاد مختلفة ؛ ومنها ما تعلق بدور المثقفين، و بروز مشكلة الصراع النخبوي؛ و منها ما تعلق بأزمة الهوية الجزائرية، و التي تعرف صدامات شديدة، بين من يحاول تجاوزها، و وضعها في صورة جامدة وثابتة، و بين من يدافع على هويايته الفرعية، و بين من يحاول تنظيرها حسبا لمعطيات و متطلبات العولمة والتحولات الجديدة الحادثة في العالم .

هذا و انطلاقا من أن الهوية ليست عنصرا معطى دفعة واحدة و إلى الأبد، إنما هي واقع، يولد، ينمو ويبنى و يتغير و يهرم، بل و قد يتعرض لأزمات و اضطرابات تؤدي به لحالات الاستلاب و الاغتراب.

و هي بهذه الصفات، تكتنف درجات عالية من الصعوبة و التعقيد و التنوع للدلالة عنها أو لتعريفها. كما أنها تتعدى كونها مجرد قائمة مرجعية خارجية مــن السمات التي تدل على فاعل ما (فردا أكان أو جماعة).

و أخذا في الحسبان لكل هذه الاعتبارات، تظهر ضرورة التدرج في تحليل مفهوم الهوية في المجتمع الجزائري، باعتبارها شعور داخلي، منوع و ذا وظائف محددة، يصل لربط علاقات متشابكة مع أحاسيس إنسانية أخرى تماما كما تتبين أهمية التريث في عرض تطور آليات التشكيل الهوياتي وتحليل مراحل تبلورها لدى النموذج الجزائري، من جهة؛ وانطلاقا من أن الحديث اليوم أصبح بديهيا، عن الارتباط الوثيق بين مفهوم الهوية و مفاهيم الثقافة واللغة، الوطنية والشخصية و التكوين بل و على أساس هذا الارتباط، صار الأنتروبولوجيون، علماء الاجتماع والنفس، يفسرون عدة عمليات اجتماعية (صراعات، تنافس، حروب، ضياع، نجاح، عدم تكيف...) سواء أحدثت بين المجتمعات ككل، أو بين الأفراد فيما بينهم،من جهة أخرى.

حيث، يكفي تصفح جل التحليلات التي تتم لآلية عمل التشكيلات الهوياتية و المعوقات التي تعترض سيرها، حتى يتم التحقق بأن التعرض لها، يؤدي بالضرورة لتناول مختلف آليات عمل التكوينات و التشكيلات الثقافية، الشخصية و اللغوية .

ذاك، مادام أن الأفراد اجتماعيون بالطبع، و ملزمون تبعا لذلك بالانتماء إلى جماعات معينة، تساعدهم على صبغهم بمعايير و سمات محددة، كما أنها تنظمها في صور قارة بذاتها، يمكن جردها و تبويبها، علنا و ظاهرا أو ضمنيا.

ولعل أول ما يتكون من السمات، هي تلك التي تنجر عن الانتماء للمكان (الوطن، المدينة، القرية، العائلة، الأسرة) للعقيدة (الدين) واللغة، كل ذلك ليتم تكوين ما يسمى الهوية الثقافية الأصلية التي يتم الإجماع عن كونها المركب المُكوَن من اللغة، الدين، الثقافة المرجعية الأساسية والحدود البسيكولوجية للجماعة وشخصيتها القاعدية [1] .

وعليه،فلا تشذ الهوية الجزائرية عن غيرها من الهويات، باعتبارها هي الأخرى، نظاما مزودا بفعالية اجتماعية، يهدف لتحديد ماهية الجزائريين، ليس بجرد كل سماتهم، و إنما بالإشارة إلى ما يمكن به التعرف عليهم هم، دون غيرهم، يكتب **(عبد الغني مغربي)**: " لا يمكننا خلط جزائري — مهما كانت منطقته الأصلية –، و المتواجد في الخارج، بآخر مصري، عراقي أو حتى مغربي أو تونسي، يكفي الاستماع له عند تكلمه (...)، حتى يتم التحقق بأن و كأنه يملك ختما جهويا أو وطنيا خاصا به " [2].

هذا و إن كان هذا حال اللغة، كسمة ثقافية أساسية مساعدة على التحديد و التفيئة الهوياتية، فهي طبعا ليست الوحيدة، بل يمكن اللجوء لسمات ثقافية أخرى: كالنظام الغذائي الشعور بالآخر، المظهر اللباسي، كيفية أداء الطقوس و الممارسات الدينية، إلى ما ذلك من السمات التي يمكن إلحاقها بالفرد، بل بأمة بأكملها [3].

الأمر الذي يجرنا للحديث عن السمات الوطنية، التي يعبر عنها أغلبهم و يتم موازاتها، بما يسمى بالشخصية القاعدية – une personnalité de base – و التي يمكن إيجادها لدى كل شعب أو أمة. هذه الشخصية القاعدية، و إيمانا بالحركية التي قد تتعرض لها هويات الأمم و الشعوب يمكنها أن تتغير ، إلا أنها تبقى دائما، تدور حول نواة هوياتية محددة. ومن ثم فالتسليم بأن تغير ملامح شخصية الجزائريين و هويتهم، عبر مختلف الحقبات التاريخية التي عاشوها، يؤدي بالضرورة للإشارة لعملية المحافظة على الهوية النواة، التي ترتكز في الأساس على بعدين هما: التعلق الشديد بالعدل و المساواة، و الرفض الغريزي لكل هوية غازية [4] .

هذه الصيانة للهوية النواة، التي يمكن التحقق من كونها قائمة فعلا لدى الجزائريين الأوائل (الأمازيغ) ؛ الذين لم يتوانوا عن الحياة وفقا لمكوناتها منذ أقدم العصور، و خلال مختلف مراحل الاحتلالات القديمة، الفينيقية، الرومانية، الوندالية والبيزنطية، فكانت بذلك هذه الهوية النواة: المحرك الأول للمقاومة الثقافية ضدها؛[5]. والعمل على تقويتها و التأكيد على المحافظة عليها من طرف الجزائريين خلال مرحلة الاحتلالات الحديثة: حيث أصبحت المحرك الأول للكفاح الوطني

ضدها ؛ والانتهاء لضرورة تعزيزها، بعد الاستقلال، حيث لا تزال هذه الهوية النواة، تشكل المحرك الأول للتطلع الدائم للعدالة الاجتماعية، التنمية الشاملة و العيش الرغيد؛ وإن كان الحديث عن المقاومة الثقافية في المقام الأول و عن الكفاح الوطني في المقام الثاني، و بشكل مستقل، فذاك تابع من باب الاقتناع بأن الجزائريون، قد مرّوا و على مستوى التشكيل الهوياتي بمراحل، يمكن مماثلتها،بتلك التي تمت على مستوى تشكيل ظاهرة الدولة أو الوطن: Etat ou la nation. و عليه، فقبل أن يتم التمكن من امتلاك لهوية سياسية، كان لزاما عليهم أن يبحثوا عن مرتكزاتها في الهوية الثقافية، تبعا لمقولة (داهل Dahl) الشهيرة و التي مفادها " بدون هوية إثنية، لا توجد هوية سياسية " [(6)]. يكتب (ق .قيوم G.Guillaume)، أنه إذا ما طبقت أكثر التعريفات عملية لمصطلح الأمة (nation) على الجزائر، فذلك يجب أن يتوازى ومدى جهودها و قدرتها على السير المباشر من المستوى الإثني إلى المستوى الوطني.

و من ثم، فلن يكون للفرد هوية جزائرية، بمجرد انخراطه لجماعة إثنية و ثقافية ما، أمازيغية كانت أو حتى عربية، بقدر ما يستوجب منه الانخراط لجماعة ملتحمة ومتفاعلة في فلك إرادة سياسية، للعيش معا، و وفقا لنمط معين. هذا الأمر، الذي لم يتسن للجزائري معرفة واقعة فعلا، سوى منذ سنة 1830 وحتى 1962، بل و حتى بعد هذا التاريخ [(7)]. الأمر الذي سيتم استعراضه بشكل كرونولجي ومتسلسل.

1- <u>التشكيل الهوياتي الأمازيغي في المجتمع الجزائري</u>

لقد عُرف عن الجزائريين، احتكاما للتاريخ ، بأنهم و حتى سنة 1830 ، آفرو – متوسطيين، ذوي هوية ثقافية إثنية ممثلة في **الهوية الأمازيغية**. هذه الأخيرة، التي وبالرغم من تمكنها للتعبير عن ثقافة مشتركة بين أفراد جماعة معينة، مشتملة على أشكال محددة من التعبيرات و الفعاليات المختلفة و المنبثقة عن نظام معرفي بسيط ومكتسب، و من ثم على منظومة من المعايير، التقاليد، القيم و العادات، و الأخلاق؛ إلا أنها لم تتحدد مكوناتها (أي الهوية الأمازيغية) بشكل جوهري و مؤسس و لم تتجاوز نطاق الهوية – النواة، التي سبق الإشارة لها؛ بحيث أنه أكثر ما عرفت به – ولا تزال تعرف به – بأنها مؤسسة على ملمحين عامين متمثلين في: **روح القتال** التي لم تفارق الأمازيغ قط، بسبب تعرضهم الدائم للانتهاكات،لا لهوان شأنهم أو جبنهم، بل لامتياز موطنهم بالموقع الاستراتيجي و حيازتهم على عديد الخيرات، من جهة ؛ وفي **روح التأبي والأنفة والقوامة والميل لصفة العدل**، باعتبارها سلوكا صيانيا ناتجا عن الترعرع ضمن ثقافة جبلية، المعززة للتحرر من قيود المكان و الزمان، وعن نقص في المدنية، المدعمة للانبساط في التعامل والقابلية للاحتمال و التكيف [(8)]، من جهة ثانية. وعليه، فالتفاصيل التاريخية التي لابست و أعاقت تشكيل الهوية الأمازيغية بشكل واضح و موضوعي على الأقل كما هو عليه اليوم مثلا، هي ذات التفاصيل

الشخصيات، الحقب التاريخية و غيرها تبعا لتحليلات (**جون . ف . ستاك** John F. Stack) (14).

هذا و بناءا على هذه المعطيات، يذهب (**عادل أزقاغ**) (*) في هذا السياق لرصد مختلف ردود الأفعال الأمازيغية، و لوضع تيبولوجيا (une typologie)، توضح تطور السلوكات الدفاعية ضد الإقصاء الثقافي الذي أحس به أمازيغ الجزائر على المستوى الهوياتي. فيبدأ من أن الوعي بالهوية الأمازيغية، لدى سكان الجزائر أو التشكيل الهوياتي الفعلي لها لم يكن ليتم بشكل موضوعي، لولا حدث الاستعمار الفرنسي للبلاد

فقد أفضى نضال الجيل الأول الذي ظهر في ثمانينيات القرن التاسع عشر، من ضمن الأجيال الأربعة لرواد التشكيل الهوياتي الأمازيغي في الجزائر، إلى التعبير العفوي عن تميز في الهوية و إثبات وجود و رغبة في الاستمرار و الحفاظ على التراث دون تحميلها أي مضامين سياسية أو هوياتية معينة أو مواقف رافضة للمنظومة الثقافية الراسخة، آنذاك المكونة أساسا من العروبة و الإسلام.

هذا الجيل الذي ضم شعراء و أدباء (كمحند أو محند) و (بوليفة) و حلقات المعلمين الذين قاموا بالمساهمة الفعالة في وضع قواعد اللغة الأمازيغية و جمع المفردات، الأمثال، القصص و الأساطير الشعبية، رغبة منهم في مجرد التعبير عن واقع الثراء والتنوع الأمازيغي؛ فيم أخذ نضال الجيل الثاني الذي ظهر في أواخر أربعينيات القرن العشرين شكلا مغايرا، لا يحمل صيغة التعبير العفوي عن التنوع، بل جاء في صيغة الإيمان و الاقتناع به، و رفض صيغ كل من لا يُقِر و لا يعترف به (التنوع)؛ ومن ثم، فالوعي الأمازيغي بالتميز الثقافي و الهوياتي في هذه الفترة بالذات، جاء على شكل ردة فعل إثر: رفض فيدرالية فرنسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية تحديد الهوية الثقافية للجزائر بغير المكونين الأساسيين الممثلين فقط في العروبة و الإسلام، في وقت تم اقتراح فيه من طرف الأعضاء الأمازيغيين شعار- الجزائر الجزائرية- ، لتمكين إدراج البعد الأمازيغي ضمن الهوية الجزائرية، من جهة؛ و قيام القيادة بإقصاء العناصر الأمازيغية من صفوف الحزب، فيما أشبه بالعملية التطهيرية لأمثال (**علي يحي**) ، (**حسين آيت أحمد**) ، و غيرهم واقامهم بالانتماء للتيار البربري التشويشي، من جهة ثانية. هذه العملية التي يُحكَم عليها بأنها وراء خلق أزمة الهوية في الجزائر و المعاناة من تبعاتها حتى يومنا هذا (**) .

نزع الجيل الثالث، الذي ظهر في ثمانينات القرن العشرين إلى صرف النظر على الصيغتين السابقتين، وقام باستبدالهما بخطاب هوياتي مطالب بدمقرطة وفتح المجال السياسي خصوصا، وأن حالة التضييق عن كل أشكال التعبير عن التنوع قد بلغ أشده (*)

وذلك ما تم التوصل إليه فعلا، بعد الأحداث العنيفة لشهر أكتوبر (1988) حيث أسفرت هذه الأخيرة عن انفتاح سياسي مبدئي، تكَرس في وضع أول دستور تعددي وسمح لأهم حزبين

محسوبين على منطقة القبائل (FFS , RCD) بالنشاط في وضع رسمي و قانوني، ذلك حتى و إن حاولا التخلص العلني من التوجهات ذات الطابع الإثني أو الجهوي، و ركزا على القضايا الوطنية بل، و حتى القضية الهوياتية الأمازيغية، تم طرحها من منظور وطني (15) .

هذا ، وتجدر الإشارة هنا، إلى أن التطورات الأخيرة التي تتعلق الهوية الأمازيغية، و عدم توصل الأجيال السابقة على اختلافها، بل وإخفاق آخرها في تحقيق المطالب الهوياتية، الاجتماعية و الاقتصادية للأمازيغ، قد أدت ولأول مرة للمعاينة الفعلية لوجود أزمة هوياتية مقابل فشل ذريع تبعا للمؤرخ (**دحو جربال**) (**) للدولة – الوطن (Etat – nation)، في بعث الوحدة الوطنية.

و من ثم السماح لبزوغ جيل جديد و مختلف عن سابقيه ضم بين الداعين لمطالب راديكالية منادية للاستقلال الذاتي، و آخرين لرفض الآخر، و أخيرا للانخراط ضمن مطالب المواطنة.

كل ذلك، يواصل (**دحو جربال**) إشارة لانتكاسة جماعية و انقسام في آن واحد بين بعثية عربية – إسلاماوية وحديثا : استقلالية أمازيغية؛ موازاة مع تراجع رهيب لَف الحركة الشعبية الثقافية الأمازيغية، التي تخلت عن الكثير من سماتها الأصلية و التي عرفت بها، تلك التي لطالما تمثلت في السلمية و قوة التأطير (61) .

و عليه، فقد أدى كل ذلك واقعا إلى التخلي على كل الصيغ الحزبية الجمعوية و حتى النقابية التي تميزت بالحضور والعودة بالمقابل لحركات المواطنة التقليدية المسماة (العروش)، توازيا مع تصاعد الأصوات البديلة المساندة للبلقنة، كما يفعله أحد أهم الوجوه الأمازيغية (**فرحات مهني**) ،من خلال حركته واللساني الشهير (**شاكر سالم**)، من جهة؛ وتصاعد موجات العنف الذي تغذيه مشاعر الاضطهاد و التجاهل من طرف السلطة، من جهة ثانية .

هذا، وإن تم التسليم – بعد هذا العرض – بتعاقب كرونولوجي و موضوعي للأجيال المدافعة عن الخصوصية الثقافية و بتصاعد وتيرة الوعي بالهوية الأمازيغية، واختلاف الأطر التشكيلية لها عبر الزمن، فذلك لا يعني بالضرورة بأنه هناك تماثلات مطلقة بين جميع أفراد المجتمع الأمازيغي الراهن. و من ثم اعتبارهم إما راديكاليين منادين للاستقلال الذاتي، أو منخرطين ضمن مطالب المواطنة بشكل كلي بل، بالعكس تماما . يجدر التنويه إلى أن الشارع الأمازيغي اليوم، يتوزع بشكل متفاوت بين جل النماذج الأر[1]بعة السابق ذكرها (71) .

و لعل أهم ما يشترك الأمازيغ فيه، امتلاكهم في المرحلة الراهنة أكثر من غيرها من المراحل السابقة بروح التمايز و الاختلاف عن غيرهم. هذه الروح، التي حتى و إن لم تكن نتاج اختيار خاص و شعور عفوي يتدرج ضمن التعبير عن التنوع، فهي نتيجة حتمية منجرّة عن تعدد المؤثرات

الخارجية التي تجبر مجموع الأمازيغ على الإيمان والاقتناع الفعلي بتميزهم عن المنظومة الهوياتية الرسمية.

2-التشكيل الهوياتي العربي في المجتمع الجزائري:

حتى حدوث الفتح الإسلامي للجزائر، كان سكانها مشتتين ضمن طوائف مختلفة أتعبها الإرهاق والاضطراب المرجعي لتلك الحضارة أو لتلك إن كان على المستويين العقائدي أو اللغوي على حد سواء.

فالبربر الممثلين للغالبة العظمى من السكان والمنقسمين بدورهم إلى **برانس** و **بتر**، لهم ما تؤطره حضارتهم الأمازيغية المرجعية من ثقافة ، لغة وكيفيات السلوك والوجود بشكل عام.و أما البيزنطيون، و هم أقلية من السكان، فقد أبقوا على هويتهم الخاصة، المتخذة من المسيحية كدين والإغريقية كلغة و ثقافة.في حين، مزج بقية الأفارقة، والذين يعتبرون جماعات من أهل البلاد على قلتهم بين النموذجين البيزنطي والروماني، وأخذوا عنهما حضارتهما، لغتهما و دينهما [81].

وعليه فلعل، أول ما وحد الطوائف والقبائل المختلفة للبربر وغيرهم من أهل الجزائر، هو اكتشاف الدين الإسلامي واعتناقهم له.ذلك حتى، و إن لم تخلو فترات التوحد هذه من التوترات، الحروب البينية و التراجع، التي تكون قد استمر ظهورها بين الحين و الآخر حتى أواخر فترة حكم العثمانيين، والتي غالبا ما كانت ذات أهداف سياسية أكثر من أي شيء آخر، تتلخص في الصبو للغلبة و النفوذ [91].ليليه اكتشاف اللغة العربية، وتبنيها، حيث يُفترض أن أكثر ما عزز التبكير بالعروبة بشمال إفريقيا، عدم وجود مدينة سالفة لهم، ترتكز على لغة متينة وآداب متأصلة راسخة الجذور كالإيرانية أو الهندية، أو فلسفة عريقة، ذات مقومات صلبة تقف في وجه الفاتح ولغته، فتقاومها [02] .

وعليه، وبالرغم مما شكله حادث الفتح الإسلامي من منعرج نوعي في تاريخ سكان الجزائر، وما نتج، عنه على صعيد الانتماء والتواصل العرقي، بحيث تم التخلص من حالة التيه، إثر العثور على بوصلة تحديد المرجع عنده كثرة منهم، صوب المشرق العربي، بشكل تؤدي فيه للوصول لمنبع الإسلام و منبته و الانتساب للعروبة.إلا أن حيثيات الإحساس والوعي الفعلي بالهوية العربية الإسلامية، لم يكن ليتبلور، ويظهر في أقصى درجاته، لولا استعمار الإمبراطورية الفرنسية للجزائر.

إن هشاشة المرجعية الثقافية، التي سادت إبان المرحلة العثمانية، التركية و انحصار حضورها فقط في المدن الكبرى دون غيرها، ذلك بالرغم من قوة وسيطرة السلطة العثمانية؛ أدت للإخفاق في تأسيس كيان مستقل وقوي للدولة الجزائرية، فأكثر ما راج عن الجزائري وقتذاك، أنه قرصان يخيف القوى الأوروبية في البحر الأبيض المتوسط، يستمد قوته من هيبة الدولة العثمانية التي ينتسب إليها [21]. وسواد المرجعية الثقافية البربرية، بالمقابل لمناطق دون أخرى، معتبرة الأتراك، بل وحتى

بعض العرب المسلمين، كسواهم من الغزاة، بشكل أدى بهذه المرجعية، لتحفظها و من ثم لحفاظها على لغتها الخاصة، ذلك حتى وإن تقبلت بالإسلام كدين، وخلطه ببعض الرواسب الحضارية الخاصة بها أو بتلك الخاصة بمختلف الاحتلالات السابقة (22)؛

واختلاف المرجعية الثالثة والممثلة في سكان القبائل الناطقة باللغة العربية والرُحَل بشكل أساسي، عن المرجعتين السابقتين، حيث فضلت تبني الإسلام الصوفي المرابطي، وحمل حدودها الجغرافية مع سكانها في حلَهم و ترحالهم.

كل ذلك أدى، و بصورة منطقية لعدم توحد التكوين المعرفي لسكان الجزائر، ومن ثم عدم توفر قواعد الاعتراف المشترك بهم ، قبيل الغزو الفرنسي (32). ومن ثم فما كانت نتيجة الالتقاء العنيف لهم، مع أحدث الدول استعمارية و أكثرها ضراوة، أن تمكنوا من معرفة أكثر، لمجموع الحدود المعنوية و الرمزية التي تفصلهم عن غيرهم عموما و عن المُستعمِرين الجدد خصوصا.

فما قام به الكولون، من إسناد تسميات للجزائريين منذ وصولهم لبلدهم، كـــ: المسلمين (musulmans)، أو الأهالي (indigènes) لهو الميكانزم ذاته، الذي يتم وفقا له إسناد اسم لطفل حديث الولادة تبعا لـــ (**برنارد ذيس** Bernard This). هذا الاسم على بساطته، يفيد في جعل حدود معنوية ورمزية للطفل، ولولاها يغرق في بحر تعدد الأشياء التي يلتقي بها و يلامسها (42). ومن ثم، فقد قام الاحتلال على المساهمة في دفع الجزائريين لبلورة وصقل ماهيتهم، اعتمادا على بعدين هامين بالنسبة للتشكيل الهوياتي، ألا وهما: البعدين العقائدي واللغوي؛فمقابل ذاك المسيحي، الرومي(Roumi) أصبح بإمكان الجزائري من أن يعقد مقارنات، يستوعب من خلالها اختلافه عنه، ليجد نفسه أنه لا يشبهه، لا في ممارساته ولا مبادئه، باعتباره فعلا و كما يسمونه مسلما (musulman) .

كما أنه وأمام لغة هذا المسيحي، الممثلة في (الرومية، القورية) والتي معناها اللغة الفرنسية، وجد في اللغة العربية ملجأ لتميزه اللغوي (25).هذا، ويؤخذ بعين الاعتبار عند التطرق لآليات التشكيل الهوياتي العربي بشكل أولوي: البعد العقائدي ليليه، البعد اللغوي باعتباره بعدا تابعا و ذلك مفسر بالعودة لقانون (**ج.داهل** J Dahl)، القاضي بعدم إمكانية التوصل لبلورة هوية سياسية معترف بها، دون البحث عن مرتكزاتها في الهوية الثقافية.و في حالتنا هذه، قد تم اتخاذ العقيدة الدينية الإسلامية، و من ثم اللغة التي نزلت بها كأحد أهم دعائم هذه الهوية الثقافية.

و في كل ذلك يؤكد (**محمد حربي**) (*)، سواء من خلال كتاب (أصول جبهة التحرير الوطني) أو (جبهة التحرير: سراب و حقيقة) أو (الجزائر و قدرها: مؤمنون أو مواطنون)، هذا الأخير الذي كتب فيه عن العامل الديني، الذي لطالما شكل محركا للتعبئة السياسية و الجماعية

للجزائريين، و من ثم، فقد ساهم، هذا العامل بشكل فعال في تشكيل الهوية الوطنية، بل و تلاها مساهمة العامل اللغوي، الممثل في اللغة العربية، الذي بُرمج لها، جملة منتقاة من العلماء [62].

في نفس السياق، يذهب (قييوم Grand guillaume)، إلى أن الإسلام وبشكل استلزامي اللغة العربية، صارا معا قلب الهوية الجزائرية، خلال فترة الاستعمار، بل وحتى بعده. فمن شدة ضغط هذا الأخير، أصبحا هذه المكونين قاعديين للإيديولوجية الوطنية منذ 1930 [72]. وعليه، فقد بات الجزائريون يمتلكون نفس الهوية التي يتقاسمها ما يزيد عن عشرين شعبا، يشعر أفرادهم بأنهم مسلمون وعرب، ذلك ما يمكنهم من التماهي مع هوية الأمة العربية والإسلامية. وفي ذلك يشكك (حربي) حين يذهب إلى أن الجزائريين قد سعوا للنضال في سبيل الحرية، لدرجة كانوا فيها جد وطنين، وصادقين، و أكثر الاحتمالات قربا من الصواب بأنهم، لم يشعروا فعليا بهذا التماهي إلى حين صيرورة إنشاء الأمة (la nation)؛ لما تمثله هذه الأخيرة من جماعة سياسية خيالية ومتخيلة، تتميز بعناصر ثقافية خاصة، كما يقتضيه تصور (ب أندرسون Bénédict Anderson) لها [82].

ومن ثم ، فالجزائريون وفي فترة الاستعمار الفرنسي، رغبوا في حرية الوطن، أكثر مما رغبوا في حرية المواطنة، الأمر الذي أخل بمعالم الهوية الجزائرية، بشكل أدى فيه البحث عن إيجاد وتشكيل الجزائر، يلغي التفكير بكيفية إيصال أفراد المجتمع لامتلاك صفة الجزائرية (l'Algérianité)، ذلك مهما كانت مقوماتهم الثقافية بعيدة عن المكونين القاعديين الممثلين في اللغة العربية والدين الإسلامي [92]

وخلاصة ما سبق، أن المقولة الشهرة للإيطالي(ماسيمو دازيقليوMassimo d'Azeglio) "لقد صنعنا إيطاليا، و سنصنع الآن الإيطاليين" [*]، تم محاكاتها من طرف دوائر القرار الجزائرية الناشئة، التي أعطت للثوار، وبفضل كفاحهم المسلح مهمة صنع والبحث عن الجزائر؛ فيم أولت للسياسيين مهمة صناعة الجزائريين. ليس بالأخذ بما يعنيه مفهوم الوطن (la nation)، باعتباره، المجتمع الذي يضم كل الجزائريين، أو المجتمع المدني (la société civile) بجميع مكوناته، و لا بالأخذ بمفهوم حرية المواطنة، وصفة الجزائرية (l'Algérianité) باعتبارها لا تعطى للكل دفعة واحدة، بل تبنى ضمن معارك الحياة اليومية [30] ؛ بل بلجوئهم (السياسيين) لعملية تنميطية ضيقة للجزائريين، بصورة أصبح فيها هؤلاء دفعة واحدة، يدينون ويلغون بعقيدة و لغة واحدة.

وعليه، فالانزلاق الذي حدث ضمن التصور الرسمي والمُجسد للهوية، لم يحدث بمجرد إدراج ذلك العنصر الهوياتي أو ذاك، بقدر ما تم فعلا، عندما تم تفضيل بعض العناصر الهوياتية على حساب أخرى. بالرغم من كون هذه الأخيرة مؤهلة، للتعبير عن الكثير من يعتبرون جزائريين؛ هذا الأمر الذي جعل، وبمرور الزمن الجزائريين أمام ما يسمى بالهوية الرسمية، وأخرى شعبية؛ يتم إدارة

الظهر الكلي لعناصرها اللغوية والحضارية، ذلك بالرغم من الدور الذي لعبته في المساهمة في الحفاظ على مقوماتهم.

إن اللجوء لإدراج المقوم الديني، قد تم من باب ردة الفعل الصريحة والملحة لإثبات الهوية، والتعبير عنها، ومن ثم، فما حصل هو " استعمال الدين كايديولوجيا سياسية " (31)، على حد وصف (**رودينسون** Rodinson). هذا السلوك، الذي استعملته دوائر القرار السياسي الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي، و لم تتراجع عنه، حتى بعد الاستقلال؛ حيث ظلت تُوظِفه من أجل ضمان استمراريتها، كراغبة في الإصلاح بشكل مشروع و مقبول من طرف الجميع.

يؤكد (**قييوم** Guillaume) صحة ذلك، عندما يذهب إلى أنه لا يمكن لأي نظام أو تنظيم أن يتخذ شرعيته في الجزائر، إن هو أخل بالمكون الديني (32). ولعل تجربة الإسلام السياسي، الذي عرفته الجزائر منذ مطلع الثمانينات وتصاعدها مع التسعينيات، قد أثبتت خطأ الخلط بين الانتماء الهوياتي إلى ما هو روحي في الإسلام، وما هو إيديولوجي فيه، تكتب (**بن عامر كريمة**)(33).

وبناءا على ذلك، فالمقوم الديني كما تم اختياره، لِيكُون قاعديا وأحاديا لهوية الجزائريين، يعجز تبعا (**إرنست رينان** Ernest Renan) على توفير قاعدة كافية لتأسيس قومية عصرية، فليس كل أفراد مجتمع ما يدينون دائما بعقيدة واحدة، حتى وإن تم ذلك، فكل فرد يؤمن ويقوم بطقوس كما يشاء وعلى قدر استطاعته (*).ذلك، حتى وإن تم التسليم مبدئيا أن الانتماء الديني من الأكثر الانتماءات الإنسانية ترسخا في التاريخ، وإشباعا لجملة الحاجات الأساسية للإنسان وتحديدا للسلوك وكيفيات التفكير والوجود.

ومن ثم فلا ينكر أحد، أن الجزائريون قد وجدوا في الإسلام ما يلبي حاجاتهم وما يوجه سلوكاتهم، بل يكتب(**محمد حربي**)، أنه في كل مرة يشعر فيها الجزائريون بأنهم تائهون، فإنهم يتمسكون بالإسلام (34).

الأمر سيان، بالنسبة للجوء لإدراج المقوم اللغوي الأحادي، الذي لم يتم بعيدا، عن باب التقليد للنموذج الفرنسي ذاته، الممارس لسياسة يعقوبية، تحمل في طياتها تسلط الواحدية إن كانت على المستوى الإيديولوجي أو حتى المستوى اللغوي، من جهة؛ ووهم الاقتدار على الخُلع الموجه ضد اللغة الفرنسية، التي فرضها الاستعمار انطلاقا من إدارة وضعية امبريالية ثقافية، من جهة ثانية.

هذا السلوك، الذي اهتدت إليه دوائر القرار السياسي الجزائري، أثناء الكفاح وواصلت على استعماله حتى بعد الاستقلال، بشكل أصبح فيه الخطاب حول اللغة العربية بشكل خاص والتعريب بشكل عام، جزء من مجموع المبررات التي يرتكز عليها، ليضمن الاعتراف بمشروعيته. وأولى هذه الحجج كانت الحصول على الاستقلال، وبعده ضرورة الحفاظ عليه في جميع الميادين (35).

ومن ثم، فما حدث في فرنسا منذ سنة 1789 وحتى يومنا هذا، حيث تمت إزاحة اللغة الوطنية، لمجموع اللهجات الإقليمية بشكل كلي، وحلت محلها؛ يكون قد أعيد إنتاجه في الجزائر، حيث جعل من اللغة العربية، اللغة الوطنية، واللغة الكتابية الرسمية. بل وسُعي لأن تتبوأ مكانة اللغة الأم ومنازعتها لها، بالرغم من أن هذه الأخيرة، كانت للكثير من الجزائريين من نصيب اللهجات العربية والتفرعات الخاصة باللغة الأمازيغية. هذا ومحاولة، لرصد التطور الكرونولوجي لظهور الهوية الجزائرية، بصبغتها الإسلامية العربية، كما تم القيام به مع ظهور وتطور الهوية الأمازيغية، يمكن ذكر المحطات الرئيسية الآتية:

ينسب أول استعمال لكلمة الشخصية الجزائرية، ومن ثم ظهور لأول تحديد معنوي ورمزي لماهية الجزائري، إلى الشيخ (**البشير الإبراهيمي**) من خلال خطابه الملقى يوم 03 جانفي 1944 [36]، والمودع لدى اللجنة المكلفة بتنفيذ الإصلاحات لصالح المسلمين الجزائريين، بتوقيع جمعية العلماء المسلمين. هذه الجمعية التي عرف عنها أنها كانت تتخذ من: الإسلام ديننا، العربية لغتنا والجزائر وطننا، شعارا مقاوماتيا وإصلاحيا خاصا بها. ذلك بالرغم من أن (**الطيبي غماري**)، يرى أن أول نواة للهوية الجزائرية قد ظهرت مع مقاومة ومشروع (**الأمير عبد القادر الجزائري**) للدولة الجزائرية هذا المشروع الذي وكغيره، وبالنظر للظروف التاريخية الذي أحاطت به، لم يكن جاهزا ومفكرا فيه بشكل دقيق، غلب عليه صفة الانفعال والعاطفة الأمر الذي ساعد قوات الاحتلال على إجهاضه.

هذا و تجدر الإشارة إلى أن الأمير نفسه، و بفضل حنكته وثقافته السياسية، أدرك مسبقا بأن مشروعه سيواجه صعوبات إجرائية، ما دام أنه تمت معاينة عدم اكتمال وحدة مكونات الهوية الوطنية، التي تسمح لجميع السكان بأن يشعروا بالانتماء المشترك كجزائريين، من جهة ؛ وعدم حمل مقاومات مختلف قادة القبائل التي كانت تحت إمرته، أو المُسانِدة له لمشروع مجتمع ودولة واضحين؛ ففي أسوأ الحالات، كانت المقاومة تتم دفاعا على أراضي القبيلة، أما في أحسنها، فكانت تتم دفاعا على دار الإسلام ضد المعتدي الكافر [37]. وفي كلتا الحالتين، فالحديث عن الهوية الوطنية الجزائرية، أمر سابق لأوانه.

(**محفوظ قداش**) [38] من جهته، يرى في مشروع (**الأمير خالد**)، و هو أصغر أبناء (**الأمير عبد القادر**)، التعبير الأولي والمحتشم في إطار الشرعية الفرنسية عن الهوية الوطنية الجزائرية. فقد تمكن من وضع عجلات تأسيس الهوية الوطنية الجزائرية على محك السكة السياسية، التي تتبنى أنماطا وسبلا نضالية حديثة، قوامها الأحزاب والتنظيمات الجماهيرية و تتمحور حول التراث العربي الإسلامي المشترك. فترشح لانتخابات البلدية عام 1919، و قام بالتالي بحملاته الدعائية، واستعان

بصحيفة الإقدام التي أصدرها. كما ناهض حركة (**الدكتور بن تامي**) الاندماجية، الذي كان إلى جانبه عند تأسيس لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين الجزائريين.

هذا، ويوجب التذكير أنه ومنذ هذه الفترة ، قد مرت الهوية الوطنية الجزائرية بمخاض عسير، إذ طُبعت الحركة الوطنية المنادية لتشكيل نواتها، قبل الثورة التحريرية، بانشطارها لعدة اتجاهات (39). منها ما صنف ضمن التيار الثوري الاستقلالي، الذي هدف للقضاء على النظام الاستعماري، وتحقيق الاستقلال بكل الوسائل، ذلك مثل الإخاء الجزائري 1919 و نجم شمال إفريقيا 1926؛ ومنها ما صنف ضمن التيار الليبرالي الاندماجي، الذي سعى لاندماج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي، ذلك مثل فيدرالية المنتخبين الجزائريين 1927؛ ومنها ما صنف ضمن التيار العالمي الشيوعي، الذي هدف لحل مشاكل المجتمع الجزائري، بالاندماج في المجتمع الفرنسي، بعد وصول الحزب الشيوعي للسلطة، ذلك مثل: الحزب الشيوعي المتفرع عن الحزب الفرنسي 1924 والمستقل منذ 1936؛ وأخيرا، التيار الإصلاحي، الذي طالب بالتأسيس لهوية جزائرية من خلال التربية والتعليم ومحاربة دعاة الاندماج والتجنس، ومختلف البدع والخرافات. ذلك مثل: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 .

هذه التيارات، التي وإن اختلفت اتجاهاتها، وسائلها ومطالبها، إلا أنها تصب ضمن مشروعين أساسين، يتمثل أحدهما في المشروع الاستقلالي، المفضِل للمواجهة مع الاستعمار، والسالك لأسلوب الاتهام والتحدي، أكثر من اعتماده على التفاوض والحوار. ويتمثل ثانيهما في المشروع الإصلاح، المتجنب للمواجهة والتصادم مع الاستعمار. والباحث عن كيفية تسوية أمور و أوضاع الجزائريين، بأقل ما يمكن من الخسائر (40) ؛ الأمر الذي عُلِق عنه، أنه يضمر صراع كبير بين هويتين: إحداهما غالبة هي الهوية الوطنية الفرنسية، ينظر إليها أنصار الاندماج على أنها هوية قوية معاصرة، ولا جدوى من نكرانها أو مجابهتها. وعليه، سيكون من المفيد استغلالها من خلال الانتساب لها، والانضواء تحت لواءها؛ مقابل هوية ثانية، مغلوبة، ينظر إليها أنصار الاستقلال على أنها هوية فتية غير مكتملة؛ لكنها تستدعي العمل على تأسيسها من القاعدة، وتوضيح معالمها، قبل الذهاب للتفكير في الاستقلال الكلي عن الهوية الفرنسية (41).

هذا الصراع الهوياتي المصيري، الذي وبالرغم من وضوح معالم اللاتكافؤ في قوى كل هوية، ناهيك عن اقتصاره على المستوى النخبوي، دون أن يشمل القاعدة بشكل كلي؛ إلا أنه نجح على الأقل في تشكيل حركة المد والجزر، التي ساعدت على إمداد مزيدا من الوقت لمختلف التيارات الناشطة ضمن الحركة الوطنية، الاستقلالية منها والاندماجية، الأصالية والحداثية، الاشتراكية والليبرالية، الدينية والعلمانية للتبلور أكثر.

هذا التبلور الذي بقي بطيئا، فلم يفضِ لتوحد التيارات على المستوى المعرفي، بقدر ما وُفِق على الأقل في الوصول للاشتراك على المستوى العاطفي، إن كان تجاه المؤسسات والهوية الاستعمارية الرسمية أو تجاه قرار إعلان الثورة التحريرية واندلاعها. الأمر الذي أجبر الجميع على الاختيار بين الهويتين المتصارعتين. ومن ثم التوجه لاستحضار صورة موحدة للهوية الوطنية.

وعليه، واستنادا لما ذكر آنفا، يمكن الخلاص إلى أنه، قد أفضت جهود الجيل الثوري الذي عاش طيلة فترة الاستعمار الفرنسي للبلاد، إلى بناء وتأسيس الهوية الجزائرية في إطارها العربي الإسلامي، المتميزة و المختلفة بشدة عن الهوية الفرنسية في إطارها الغربي الصليبي؛ ذلك على النحو الذي ما كان يعنيه بيان أول نوفمبر 1954 [*]، الذي جاء في الهدف المتضمن الاستقلال الوطني، بأنه لن يتم إلا بواسطة إقامة دولة جزائرية ديمقراطية في إطار المبادئ الإسلامية، و بشكل معلن؛ وضمن إطار الهوية الحضارية القائمة على اللغة و الثقافة العربيتين، بشكل مضمر.

فيم أخذت ممارسات جيل الاستقلال، والذي عاش في فترة ما بعد الاستقلال، وحتى سنوات 1988، سبلا معاكسة ومغايرة تماما لعملية البناء الهوياتي في إطار المبادئ الإسلامية العربية. فانتهت، وبشكل مناقض لعملية التفتيت للنواة الهوياتية التي خلقها جيل الثورة(Emiettement identitaire). لا لشيء سوى، لما كانت تمثله من هوية تقليدية ومتجاوزة، في وقت كانت فيه النظم السياسية المتعاقبة على قدر اختلافها، تسعى لتكوين إنسان جديد في مجتمع جديد مقابل، القضاء على كل ما هو جزائري قديم [42].

هذا، وبالنظر لثقل الماضي، وضغطه على حاضر ومستقبل المجتمع الجزائري، فقد فشل الفاعلون من هذا الجيل في مشروع البحث عن الجزائري الحديث، وعوض تجسيده فقد حفزوا وللمرة الثانية على شاكلة ما قام به الاستعمار الفرنسي في المرة الأولى، على عودة الجزائري التقليدي وبروزه للواجهة بشكل قوي وعنيف. ثم إن هذه المرة، ليس في إطار هوية مُوَحدة، بل ضمن أطر هوياتية دينية و لغوية مختلفة. وما احتجاجات الإسلاميين داخل جامعة الجزائر منذ سنة 1982، سوى تصور معارض للمشروع الهوياتي المقترح من قبل النظام الحاكم، والذي لوحظ عنه –حسبهم– تراجعه عن الالتزام و الوفاء للمبادئ الإسلامية [43]. هذا التراجع الذي تم الاحتجاج عليه، لا يمكن فهمه إلاَ إذا تم تسييقه ضمن الخطوة الحداثية، غير المُعلنة والمحتشمة التي حاولت السلطة القيام بها تجاه دين الدولة، ومحاولاتها لتجسيد مبدأ العلمانية، من جهة؛ واحتجاجات الأمازيغيين في مناطق القبائل في نفس الفترة، إلاَ تصور آخر، رافض للمشروع الهوياتي الرسمي، والذي حُسب عنه، التعصب لإطار لغوي ثقافي واحد؛ في وقت يعيش فيه أفراد المجتمع ضمن مجال لغوي ثقافي: متعدد ، ثري و قوي [44].

هذا التعصب الذي لا يمكن مقاربته هو الآخر، إلاَ من خلال تصنيفه ضمن محاولات المشروع السياسي للدولة الجزائرية، الحفاظ على وحدة الهوية الوطنية، من خلال التفرد والواحدية على المستوى اللغوي الرسمي، من جهة ثانية .

ابتداءا من أحداث 1988 وحتى وقتنا الراهن، أصبح الجيل المشتغل بالهوية، يتحقق من ضرورة المراجعة الذاتية والتفكير الجدي في مستقبل المشروع الهوياتي في الجزائر؛ خصوصا وأن هذه الأحداث قد عرَت ولأول مرة واقع المستوى الإيديولوجي والمؤسساتي للنظام الحاكم، و كشفت أيضا عن هشاشة المشروع الهوياتي الخاص به، والذي كان يحيل لفراغ رمزي هائل، من جهة؛ و جعلت المجتمع من جهة أخرى، يتوفر على قابلية رهيبة للانحراف و الركض وراء أي خطاب هوياتي مغاير.

لقد استثار الفراغ الرمزي كل من كانت، قد حدثته نفسه عن تصور هوياتي بديل، وفي ذلك إشارة للعناصر المعارضة التي سجلت ظهورها منذ سنة الاستقلال، وقُوض نشاطها استنادا للمادة 28 من دستور 1962، حيث نصت على " أنه ممنوع على كامل التراب الوطني أي تشكيلة أو تجمع ذو طابع سياسي " (45).

هذا التصور البديل لمجتمع، ظهر هو الآخر بصورة مضاعفة: القاصر غير المحتلم والتائه التواق لإيجاد الدليل الراشد، حتى يساعده على الوصول إلى معرفة من هو(المجتمع). وما أن اعتُمِد مبدأ التعددية السياسية في فبراير 1989، حتى بدأت أعراض الجنون السياسي تلوح في الأفق، حيث وجد الجزائريون أنفسهم أمام تسونامي من الأحزاب السياسية. التي لولا الشروط التي فرضتها وزارة الداخلية لما قل عددها عن ستين حزب(46).هذه الأحزاب، التي وبالنظر لبرامجها، تترجم بالضرورة عدة مشاريع لمجتمع جديدة. وهي وإن اختلفت من حيث الشكل، التاريخ، المحتوى والأهداف (*) إلا أنها لا يمكنها الانفلات من التصنيف إلا ضمن تيارين رئيسيين هما (47):

* التيار الديمقراطي: الذي يجعل من الحريات الشخصية والجماعية حجر الزاوية لبرنامجه، وذلك حال (FFS , RCD , MDA , MDS، و مؤخرا PT وRND)

* التيار الاسلاموي: الذي يجعل من الدين الإسلامي، مركز الحياة في المجتمع والمنبع الأول الوحيد لتأسيس الهوية الجماعية للجزائريين. وذلك مثل: (FIS, MN, MSP)

ثم وأمام هذا العرض الحزبي المتزايد والمنوع، كان الطلب المجتمعي بعيدا عن الاحتكام لاقتصاديات السوق، وما تحتمه هذه الأخيرة من السلوك العقلاني تجاه النوعية والثمن، وما إلى ذلك من الاعتبارات.حيث قامت غالبية المجتمع الجزائري، بعدم إرهاق نفسها وبمنطق الاقتصاد في جهد التفكير والاختيار، وانجرت وراء المشروع الأقرب من النسق المعرفي الذي تمت تنشئته رسميا ولا رسميا عليه، ذلك حتى وإن كان هذا المشروع ميتا قبل ولادته (48)

وليس وراء اندفاع الغالبية وراء التيار الإسلامي، سوى أنها رأت فيه المخلص لها من فساد النظام السياسي الحاكم: الشيء الذي يحيل عن عمق الهوة بين النخبة الحاكمة وباقي الشعب؛ والمسترجع لها للهوية الثقافية والوطنية للجزائريين، وفي ذلك عرض لصور فيها الكثير من الحنين للماضيوية الدينية في نقائها الأول مع تجربة المدينة (49).

فيم قامت الأقلية، المتبقية من المجتمع الجزائري، بالركض وراء المشروع المستجد. هذا الأخير الذي حاول من تقوية عداءه للتيار الإسلامي و ترسيخ نزعته العلمانية، أملا في تحجيم الأسلمة المتزايدة. الأمر الذي أفضى إلى صراع، أسس على حذر أحد التيارات من الآخر، و شعور أحدهما المتزايد بالتهديد لوجود الآخر، ومن ثم محاولات إقصاء كليهما للآخر.

هذا الإقصاء الذي تدرج في الانتقال من إقصاء رمزي ومعنوي، يتم الاشتغال عليه ضمن المستوى السياسي، إلى إقصاء مُصفي وجسدي، يتم التنظيم له في شكل موجات أعمال إرهابية، عصيان مدني وعنف.

هذا الواقع الذي اهتز له المجتمع بشكل عام، ورمى به للتساؤل مرة ثانية والوقوع في تناقض وجداني مضاعف بين مشروعين هوياتيين، يحَن أحدهما للماضوية السعيدة، ويتوق الآخر لمستقبل حالم (05).

وكرد فعل يخلصه من هذه الحالة، راح المجتمع الجزائري يتبنى هوية خاصة به، ليست لا إسلامية، و لا هي ديمقراطية علمانية. وبذلك أصبح على حد وصف (**صادق جلال العظم**) (51) من بين المجتمعات التي لا يوجد فيه أي شيء يسير وفقا للمبادئ الإسلامية أو يتوافق موضوعيا مع الشريعة الإسلامية ؛كما أنه لا يسير فيه أي شيء، وفقا للأسس الديمقراطية والحريات الفردية والجماعية، المنفصلة بشكل تام عن الدين. وعليه، يكفى النظر لمختلف السلوكات التي تحدث في الواقع الجزائري و تحليلها، كما فعل (**الهواري عدي**) (25)، مثلا بمقاربته لقانون الأسرة، حتى يتم البرهنة على صحة الاستنتاجات السابقة.

3-التشكيل الهوياتي الفرانكفوني في المجتمع الجزائري :

لقد تسنى للغة والثقافة الفرنسيتين، من خلال الغزو الاستعماري للجزائر لأن تترسخا وتتغلغلا ضمن المجتمع الجزائري؛ ليعرف هذا الأخير ومنذ 1830، واقعا هوياتيا جديدا، لدرجة تمكن فيه وصف الكثيرين أمثال (جورج موران Georges Morin)، لأن يصبح ثاني مجتمع فرنكفوني، بعد المجتمع الفرنسي. ذلك بالنظر لعدد الأطفال الهائل الذين يتعلمون اللغة الفرنسية منذ السنوات الأولى من التعليم الأساسي الجزائري، حيث يفوق عددهم 6,5 مليون (35).

التبرير بهذا العامل، يمكن رده لتطبيق أحد البديهيات اللغوية القاضية بأن تعلم أحدهم لغة جماعة ما، و تكلمه بها، إنما تسمح له بأن يصبح فردا منها، وبأن يتلقى بالتالي من خلالها أحد أهم

جوانب هويته [45]، من جهة؛ وإشارة إلى أن اختيار أحدهم للغة دون أخرى، و لسماتها النسقية، إنما هي الهوية اللغوية والاجتماعية، التي يريد التعبير عنها، وإعادة بنائها عند كل حدث اتصالي [55]، من جهة ثانية. كل ذلك، بالرغم من أنه هناك وعي تام بكيفية دخول اللغة والثقافة الفرنسيتين للفضاء اللغوي الثقافي الجزائري وفرضها عليه بالحديد والنار. ومن ثم اجتثاث الكثير من متبنيهما من جذورهم؛ وبطريقة تواصل حضورهما واحتمائهما بقوة وعنف رمزيين، تهدي متبنيهما بالمقابل أدوات السيطرة، التي لا تكسبه إياه لا اللغة ولا الثقافة الأم. هذه المكانة المضاعفة والمبهمة، جعلت من اللغة والثقافة الفرنسيتين لأن تظهرا عند الجزائريين بصورة شبيهة بالمقوم الهوياتي المنازع، والباحث عن مكانة إلى جانب المقومات القاعدية لهويتهم.

ويكفي تفحص ما أفرزه الفضاء اللغوي الثقافي الفرنسي، منذ دخوله وكيفية تفاعله حتى يومنا – هذا ضمن الفضاء اللغوي الثقافي الجزائري– من مجادلات، مناقشات وتبعات شائكة، توصلت في أحايين عدة من المساس بهوية الجزائريين وزعزعتها، ومن معاودة التفكير فيها وصياغتها، حتى يتم البرهنة عن خصوصية العلاقة بين هذا الفضاء والهوية الجزائرية بشكل عام.

هذه الخصوصية التي لها ما يبررها لدى الجزائريين، باعتبارهم ممن يقومون بربط صلات علائقية وطيدة مع اللغات، بشكل كانت فيه هذه الأخيرة – وبشكل دائم – الوسيلة التفيئوية الهوياتية (instrument de catégorisation identitaire) .

يكتب (قييوم Grand Guillaume)، بأن اللغات المحكية على قدر بساطتها، وعدم تمتعها بما تملكه غيرها من اللغات المكتوبة، لطالما كانت النظم التي يوكل لها الجزائريين، مهمة الاستدلال الهوياتي [65].فحديث أحدهم، يمكن لأن يكشف للآخر عن هوية الجماعة التي ينتمي إليها. هذه الجماعة التي يمكن أن تكون جهة، مدينة، قرية، قبيلة أو أسرة.

وعلى هذا الأساس، يتضح الدور المعزى للغة المحكية، الكاشف عن هويات جغرافية، جهوية، كأن يقال بأنه من الشرق، الغرب، الوسط أو الجنوب، وعن هويات مدينية، فيقال بأنه قسنطيني، عاصمي، عنابي، بجاوي، وهراني، وأخيرا عن هويات قبلية، كالمزابي، الشاوي، القبائلي. ومن ثم تصبح هذه الهوية الجغرافية بمستوياتها، مترجم لأول تجذر للفرد في الوسط الاجتماعي، الذي ينتمي إليه، والذي يتطور ويتدرج من الأسرة إلى الجهة. هذا التجذر الذي كثيرا ما يكون قدريا ومحتوما، مرتبطا بالفرد، مهما كبر، وأينما حل أو رحل [75] .

هذا ، و إن كان هذا الميكانزم صالحا للغات المحكية، فهو أيضا صالح لغيره من اللغات، ذلك شأن اللغة العربية الكلاسيكية (المكتوبة)، التي هي الأخرى، تشكل مرجعية لهوية الجزائريين، باعتبار أنها استطاعت توحيد هوياتهم، الجغرافية(الجهوية، المدينية، القبلية) كلها وأصبحت فضاء جامعا ، يكشف عن هوية واسعة ، ألا و هي الهوية المسلمة؛ التي يعتبر الإيمان بأركان الدين الإسلامي

والانتساب للعروبة قوامها. وعلى هذا الأساس، فقد تمكنت هي الأخرى من تحولها لمترجم ثاني للجزائريين ضمن الوسط الاجتماعي العام، الموسوم بالفضاء الحضاري العربي الإسلامي والذي، يزيدهم تشبعا بالتضامن الإسلامي وإيمانا بأسطورة الوحدة العربية. اللذان يساهمان بدورهما في تعزيز الشعور بالانتماء لرقعة حضارية متميزة، تشكل اللغة العربية أهم صفاتها[85]؛

و شأن اللغة الفرنسية، التي تمكنت من تشكيل مرجعية أخرى للهوية، حيث تمكنت بدورها من صبغ هويات الجزائريين ذوات المرجعية القاعدية المكانية، والمرجعية الحضارية العربية الإسلامية، لتكشف هي الأخرى على هوية حضارية زمانية، تحيل لتأثير واحتكاك الجزائري مع هوية فرنسية أجنبية عنه؛ كان ذو شكل استيطاني احتلالي عنيف في البداية، ليتحول إلى شكل تعايشي مغاير، يؤكد خصوصية شعور الجزائري دون غيره حيال الهوية الفرنسية وعناصرها اللغوية والثقافية. هذا الشعور الذي ينشطه " الانتماء للفضاء المتوسطي، المرتبط جدا بالضفة الشمالية الأوروبية، ومنه بالحضارة الغربية الحديثة "[95].

لقد سبقت الإشارة، إلى صيغ التفاعل الأولى مع النموذج الثقافي المنقول عبر اللغة الفرنسية، المستمدة بدورها لمرجعياتها من الحضارة والثقافة الغربية النصرانية، من طرف الجزائريين، وإلى كيفية عدم قبول لسكان الجزائر تبني هذا النموذج بسهولة، منذ الاصطدام به، وبطئ تحولهم من حالة لغوية طبعها العداء والمقاطعة الكلية له، إلى حالة كان قوامها التقبل البراغماتي والنفعي له. حيث أنهم شعروا، وطيلة الربع الأول من الاحتلال، بالتناقض الصارخ والاختلاف العميق عن ما يمثلونه، وعن ما يمثله النموذج الفرنسي، فتولد لديهم الرفض، الامتناع والصراع لكل ما يمت بصله به. لدرجة، كان فيه، كل متبني للغة، ثقافة وقيم الفرنسيين ولفكرة تمجيد دورهم واستحسانهم، مساويا للخيانة والاستسلام أمام الاحتلال، وللتخاذل والجبن أمام محاولاته المثقافاتية و الاندماجية. هذا الموقف، الذي كلفهم بالمقابل تراجع ثقافتهم ولغتهم الأم، وإصابة عناصرهما البشرية والمادية بالإنهاك والشلل؛ ومن ثم عدم الاستطاعة على الصمود أمام تنامي شراسة الثقافة واللغة الفرنسيتين، وانتهاج سياسة مسعورة لصالحهما.

هذا، و انطلاقا من سنوات 1883 وظهور مبادرات فتح أبواب المدارس الفرنسية أمام الأهالي، بدأت تلوح استجابات للنموذج الثقافي اللغوي الفرنسي في الأفق، ذلك بالرغم من بقائها انتقائية، ضيقة وقليلة؛ حيث لجأت فئة من الجزائريين، وبخاصة أبناء الطبقات الغنية والتجار الكبار والموظفين في مختلف الإدارات الفرنسية والمتعاملين معها، لرمي النموذج الجزائري، والارتماء بالمقابل في أحضان النموذج المحتل، فكانوا أول من تحرر من حالة الانفصام الهوياتي الذي غلب على بقية الجزائريين[60]. هذا الوضع الذي دام، إلى حين ظهور شكل ثالث من التفاعل مع النموذج الثقافي اللغوي الفرنسي، والذي تميز هذه المرة بالتعديل التسوية والتفكير العقلاني فيه. حيث وعكسا، لما قد

قام به الجزائريون قبلا تجاه هذا النموذج، تم توجههم للتنازل شيئا فشيئا، عن موقفهم المعادي المتطرف، وتحولوا للتفكير في شرعية تبنيه. من خلال مطالبتهم بالمساواة بين الجزائريين وغيرهم الفرنسيين، بالحق في التمدرس. حيث تكتب (كولونة Colonna): " أن التغير الجذري لموقف المجتمع الجزائري إزاء المدرسة الفرنسية، قد حصل حوالي 1920" [61]. وهم بذلك، يكون قد قاسوا المزايا إلى يمكنه جنيها من تبني النموذج الفرنسي، سواء أكان ذلك اجتماعيا أو اقتصاديا أو حتى سياسيا.

هذا، و يكفي تصفح ما كتبه **(كاتب يسين)** مثلا أو حتى **(آسيا جبار)** بعده، عن النموذج الفرنسي، لغة، ثقافة وهوية، حتى يتم التمكن من قياس مدى شدة الصراع الذي عاشه هذا الجيل من المجتمع الجزائري، والذي أثر بالتأكيد على ذهنيته، من جهة؛ ومقدار الجهود التي بذلها كجيل، من أجل التحول من حالة لغوية، طبعتها في السابق المقاطعة الكلية لأخرى أكثر عقلانية – واقعية، من جهة ثانية؛ ذلك دون أن يغيب عن هذا التحول النوعي تفاعل عدة تناقضات وتعقيدات، وتواصل تمظهرها من خلال مختلف الشروخ التي يعيشها أفراد المجتمع الجزائري الراهن، الدائم البحث عن نفسه بين النموذج التقليدي الذي تحافظ عليه اللغة والثقافة الأصليتين والنموذج الحديث الذي تمديه إياه اللغة والثقافة الأجنبيتين.

هذا الجيل الذي ظهرت ملامحه انطلاقا من 1920، والذي أكثر ما يوصف به، بأنه كان محكوما عليه، بأن يتعامل من خلال النموذج الفرنسي: أن يتعلم لغته ويتشبع بقيمه، وأفكاره المستمدة من أفكار الثورة الفرنسية، و التي فتحت عينيه على ضرورة مطالبة المستعمر بالحقوق الوطنية والوفاء من ثم، لنموذجه الأصيل. فيلخص كل ذلك **(كاتب)** من خلال حواره قائلا: " عندما كنا أطفالا تبلورت حساسيتنا و تقولبت في اللغة العربية المنطوقة... فكانت الحبل السري الثاني الذي يربطنا بأمنا الجزائر..غير أن الطفل يترعرع و يكبر وينبغي عليه أن يذهب إلى المدرسة الفرنسية، لأن فرنسا بسطت نفوذها منذ 100 سنة، ولأن الفرنسية تستعمل في البريد ولركوب القطار والحصول على الشهادة " [62].

هذا، و بالرغم من مرارة حتمية التعامل مع النموذج الفرنسي من خلال عناصر هويته، إلا أن ذهنيات الأفراد الجزائريين، بقيت تتوافر على جذور حساسة و وفية تجاه عناصر هوية نموذجه الأصلي، و تجاه الوضع الذي أُقْحِم فيه، حيث وجد نفسه مرميا فجأة في أحضان هوية أخرى، و ملزما باكتساب جذور ليست بجذوره الأولى.

فيردف **(كاتب)**:"أكتب بالفرنسية، لأن فرنسا غزت بلادي، وتبوأت فيها مكانة من الهيمنة و السلطان، وهي من القوة بحيث توجب علي الكتابة بالفرنسية لأجل البقاء، بيد أني و أنا أكتب بالفرنسية صاحب جذور بربرية أو عربية لا تزال حية" [63].

في نفس السياق، راحت (**آسيا جبار**) [64]، لوصف إحساس الجزائريين ما بعد سنة 1920، و قساوة انخراط بعضهم ضمن الهوية الفرنسية، وحتميته، فتكتب عن أحد عناصر هذه الهوية، ألا وهي اللغة الفرنسية، بأنها لطالما كانت اللغة القاسية الجافية [*]، ذات الشبه الخارق بزوجة الأب، التي تُستخلف لتكون أما لأبناء ليسوا بأبنائها. وفي ذلك كناية دقيقة، عن المكانة التي تتوصل لانتزاعها لتلك الخاصة باللغة الأم، المتميزة على العكس، بالدفء والحنان.

و عليه كما عوين، تتابع ثلاث أجيال متمايزة في علاقتها مع النموذج الفرنسي أثناء مرحلة الاستعمار، سيتم التميز أيضا عن ثلاث أشكال علائقية بعد سنة 1962.

هذا التاريخ، الذي ما تم فيه استقلال الجزائر، حتى طفت اختلافات وجهات النظر، في أمر التعامل مع عناصر الهوية الفرنسية إلى السطح. هذه الاختلافات التي لطالما عاودت ظهورها و تقوت بشكل حاد و جاد، كلما تم التطرق لمناقشة ماهية الجزائريين و هويتهم.

تشرح (**مرسلي**)، بأن حيرة التعامل مع اللغة الفرنسية غداة الاستقلال، يحيل في الأساس لأزمة التعامل الشامل من آليات التشكيل الهوياتي الفرانكفوني، الذي يقوم على أساساها في الجزائر [65].

وفي ذلك تدعمها (**سعيدة كانوة**)، حينما تحاول إثبات ذلك من خلال المكانات التي تم إلحاقها للغة الفرنسية ضمن الإطار المدرسي وتغيرها بشكل سريع، وغير مفكر فيه بصفة عقلانية، فمن لغة التخصص(langue de spécialité)، إلى اللغة الأجنبية ذات الامتياز (langue étrangère privilégiée)، فلغة العلوم والتقنيات (langues des sciences et techniques)، حتى ومنذ سنوات قليلة اللغة الأجنبية(la langue étrangère)[66].

وفعلا، فالقراءات المتأنية والتحليلية للفصل المعنون " الجزائر بلد فرانكفوني " لصاحبه (موران Morin) [67] ، يُمكِن من معاينة عدم ثبات المكانات التي تبوأها الهوية الفرانكفونية أمام وفي خضم هوية الجزائريين، ومحاولتها المستميتة، ومن خلال اللغة والثقافية الفرنسيتين، الحفاظ على تواجدها في جزائر ما بعد الاستقلال.

هذا ويذهب (**حبيب طنكور**)، في نفس السياق إلى أنه " في عام 1962، صار الجزائريون مستقلين، لكنهم لم يتحرروا ؛ تتحقق هذه المعاينة وسط تراكم من ضروب الحرمان. وهذا ، لا يمكن أن يُوَلِد إلا عنفا واضطرابا للذات " [68]. ويضيف: " ثم إن فرنسا حاضرة في كل جزائري أكثر من أي وقت مضى. غير أنه ولا خطاب، توصل لدمج هذه الظاهرة بهدوء، الأمر الذي يصعد الحرمان واضطراب الهوية " [69]. وهو بذلك، يشير للجانب اللاشعوري للمجتمع الجزائري بناء على مقاربة تحليلية نفسية، حيال الهوية الفرانكفونية بشكل عام أو أحد عناصرها بشكل خاص.

هذا ، و إذا ما اُتخذت اللغة، كدال عما تسببه من اضطراب هوياتي لدى الجزائري، فذلك لما تثيره من مظاهر النبذ، باعتبارها اللغة المفروضة عليه بالحديد والنار؛ ومن مظاهر الجذب والسحر،

باعتبارها اللغة التي تمديه التقدم التقني والحداثي. وإن كانت هذه اللغة بهذه الصورة، تعكس علاقة الهويتين المندمجتين في الذات الواحدة، فهي تترجم أيضا التعارض الوجداني تجاههما.

ثم إن صبغة المرحلة الانتقالية، التي ميزت الثماني سنوات الأولى ما بعد استقلال البلاد، تكون قد تركت للهوية الفرانكفونية فرصة استمرار إثبات وجودها، فاستغلت لغتها، إرادة السلطات، تحقيق التنمية والكفاح ضد الأمية، و تشييد مختلف المؤسسات التربوية التعليمية، حيث تمت بواسطتها، في انتظار الإحلال التدريجي للغة العربية، والتي تم الإجماع على أنها ستكون اللغة الرئيسة والرسمية. هذا الأمر الذي جعل منها تُقوي مكانتها، فتصبح اللغة المفضلة ومن ثم " اللغة ذات الامتياز " (70) توازيا ، مع مساهمة تطور البنيات الإدارية المستخدمة لها في ذيوعها، واشتغال القطاع الاقتصادي بها، تماما كما تم العمل بها في المؤسسات التربوية، العليا منها والابتدائية، و في باقي مؤسسات المحيط بشكل عام.

ويشهد **(عميمور)** عن هذه الفترة، حيث يصف بأن نفوذ الفرنسية قد تزايد بحكم زيادة عدد المتمدرسين من جهة، وبحكم حركية التنمية التي قادت إلى تضخيم الجهاز الصناعي، ثم الإداري وفرض الاستعانة بمن لا يعرفون غير الفرنسية، واتساع الأمر إلى استيعاب كثيرين ممن لا يؤمنون بغيرها (71). هذا الوضع، الذي جعل من الجيل الفتي والناشئ في هذه المرحلة، يقوم ببلورة تمثلات قائمة على المعاينة للواقع، والمؤسسة على إقران صفتي الحظوة والامتياز للنموذج الهوياتي الفرانكفوني.

يكتب **(رابح سبع)**، وبعيدا هذه المرة على ذكر التعارضات الوجدانية والانفصامية الحادة، والتي مزقت ذوات جزائريين ما قبل هذه المرحلة، من جراء عدم اندماج و اصطدام الهويتين الجزائرية والفرنسية وتصعيد لغتيهما و ثقافتيهما للحرمان والاضطراب الهوياتي، بأن اللغة الفرنسية اليوم، قد توصلت لأن تكون في المجتمع الجزائري " اللغة الناقلة للرسمي دون أن تكون لغة رسمية، اللغة ذات الامتياز في نقل المعارف، دون أن تكون لغة التعليم، كما أنها تستمر ودون أن تكون لغة الهوية في تشكيل مختلف أنماط المخيال الجمعي، عن طريق عدة قنوات.. ثم إنها ودون أن تكون لغة الجامعة، فهي تساكن لغة هذه الأخيرة" (72).

قد يكون لسر حيوية اللغة الفرنسية في الجزائر، والمستند لكيفيات الوجود هذه، والمعتمد في الأساس على أكثر عدد من المصادر المعرفية، المعلوماتية و الاتصالية، بداية من الهوائيات المقعرة، للانترنيت، الصحف، القنوات الإذاعية، المراكز الثقافية الفرنسية، المراجع وما إلى ذلك، وصولا إلى ضوضاء شوارع و أحياء البلاد (la cacophonie)، أين لا تخلو من شرائح مالكة لكفاءات وظيفية بالنسبة لهذه اللغة (73)؛ دخلا في التأسيس الخاص و الوحيد للشعور الحميمي والمُعقد الذي

يبلوره الجزائري دون غيره من أفراد بلدان المغرب بشكل خاص، و بلدان العالم الفرانكفوني بشكل عام، تجاه فرنسا: البلد، الهوية ، الثقافة واللغة.

و من يدري، إذا كانت بداية ولادة جيل جديد متبني لخطاب معتدل وهادئ حول ظاهرة الدمج غير المضر وغير المسبب لا لحرمان ثقافي ولا اغتراب هوياتي، هذا الخطاب الذي سيتكأ على التاريخ، والذي كما وصفه (**محفوظ قداش**) [74] ، لا يكون لا كولونيالي (ni coloniale) و لا وطني (ni nationaliste)، بل قائم على حقائق موضوعية، متعلقة بالمجتمع الجزائري، بظروف مر بها و حالات عاشها و ثقافات تعاطى معها وطموحات شكلها من خلالها.

و عليه وكمحاولة لتلخيص كل ما سبق: يمكن الجزم بان كل هوية، إنما تحاول إثبات شرعيتها التاريخية، من جهة؛ وتحقيق أكثر المكاسب لصالحها، أو استمرار فرض نفسها على الأقل، من خلال دوام مزاحمة كل هوية للأخرى، ومحاولتها لإشعار الأخرى، بأنها لا تزال حيوية وصالحة لأن تكون إطارا مرجعيا من خلال استغلال كل الوسائل والفعاليات لذلك .وما دام السلوك الهوياتي، وبشكل عام، ما هو إلا عبارة عن جملة استراتيجيات فردية أو جماعية، يتم تنظيم بموجبها علاقات الأفراد مع ذواتهم، ومع غيرهم ؛ فإنه تمت معاينة و في خضم السياق التاريخي الذي طبع تطور التشكيلات الهوياتية للجزائريين و تعاقبها، بأنهم أصبحوا اليوم، وخصوصا الشبان منهم يطورون إستراتيجيات هوياتية جديدة تتوازى والواقع الجديد الذي أفرزته التحولات التي عاشوها. هذه الاستراتيجيات الآخذة بعين الاعتبار المرجعيات التي فرضتها تفاعل ثلاثية الموقع الجغرافي، الفتح الإسلامي و الاستعمار الامبريالي، من جهة ؛ كما تمت معاينة، من جهة ثانية أن التشكيلات الهوياتية، تماما كاللغوية لا يمكن توكيلها لمؤسسة دون أخرى، بل تُرَد و بشكل شامل و متكامل لمختلف المؤسسات الثقافية التربوية ضمن السياقات التاريخية المختلفة. وأمام هذه المعطيات يتبين، أن الهويات تماما كما اللغات في الجزائر قد عرفت جولات تبيانت بين العداء، التنافس تارة، التعديل والتسوية تارة والتداخل والتعايش تارات أخرى؛ الأمر الذي أنتج حالات الامتناع والإقصاء، القبول تارة، مسببا تناقضات وشروخ معقدة والصراع تارات أخرى، مفرزا تراكم ضروب الحرمان، العنف واضطراب الذات. الشيء الذي ساعد بشكل أو بآخر الجزائريين عموما والشباب خصوصا على التحول النوعي، على المستوى الهوياتي، ودفعهم إلى عدم معاودة القبول بصيغة هوياتية جاهزة، تقدم من تلك الجهة أو من أخرى أو اقتنائها دفعة واحدة . بل وعلى العكس راحوا، يحاولون بناء هويتهم ضمن معارك الحياة اليومية التي يعيشونها.

فلم يبقوا أولئك الذين يتم التنظير لِمنْ هُم، تماما كما فعل الاستعمار الفرنسي، حين ضغط عليهم أشد الضغط، بشكل أجبرهم فيه على التقوقع ضمن الهوية العربية الإسلامية، أو كما فعلت السلطات الرسمية بعد الاستقلال، حين قامت بإكراه البعض من خلال الضغط على وعيهم

وإجبارهم على التقوقع ضمن الهوية الأمازيغية؛ وفرض على آخرين و بشكل مناقض الانكماش ضمن الهوية الفرانكفونية، وأصبحوا، و**كرد فعل** يبحثون عن التحرر من الضغط. ومن ثم تبني هوية خاصة بهم، لا هي **إسلامية ولا هي علمانية**، لا **أمازيغية ولا فرانكفونية**، بل هي نتاج لمزج كل ذلك في انتظار الدمج الهادئ والفعال .

الهوامش

(1) : محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية و قضايا اللسان و الهوية ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،2003 ، ص 110.

(2): Abd El Ghani Meghrebi : Culture et personnalité Algérienne :de Massinissa à nos jours , ENAL & OPU , Alger , 1986 , p 59 .

(3): Op.cit, p 60.

(4): عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام ، الجزء الأول ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الطبعة السابعة ، الجزائر ، 1994 ، ص 37 .

(5): Gilbert grand guillaume : « les représentations culturelles et politiques dans la société algérienne d'hier et d'aujourd'hui : langues et nations » :in : forum de l'IFRAS et l'université de Nancy02,animé le 19-20 mars 1999,pp89.99.

(6) : Jean Dahl: « from ethnic to political identity » , In journal of international law , 57 (3) , p 315 .

(7) : Op.cit, pp 89 , 99 .

(8) : عشراتي سليمان : الشخصية الجزائرية : الأرضية التاريخية و المحددات الحضارية ، المرجع السابق ، ص ص 259 ، 269 .

(9) : المرجع نفسه ، ص 34 .

(10): Mouloud Gaid: Aguellids et Romains en Berbèrie, OPU édition, Alger, 1985 , p 63 .

(11): Mahfoud Kedache : L'Algérie dans l'antiquité , SNED édition , Alger , 1982 , p 45.

(12) : سليمان عشراتي : المرجع السابق ، ص 31 .

(13) : نهاد الموسى: " اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت و قوى التحول ، دار الشروق ، الأردن ، 2007 ، ص 61 .

(14) : John F. Stack: « Ethnic groups as emerging transnational actors », In: J . F. stack (ed) : Identities in trans national world , West port , coun – Green wool press , pp 18 , 45 .

(*) : أنظر: عادل زقاغ: "القضية الأمازيغية :إيتيولوجيا الأزمة"، فصل في كتاب جماعي محكم حول التحولات في الجزائر –منظور سوسيو–اقتصادي"،تحرير صالح .زياني، باتنيت للنشر، باتنة، 2008 .

(**) : أنظر الحوار الذي أجرته سلمى حراز مع الحقوقي علي يحي عبد النور، في جريدة الخبر اليومية، العدد 5480،الصادرة في 2008/09/20.

(*): voir :Bruce Maddy–Weitzman:« The Berber question in Algeria: nationalism in the making », In: Ofra Bengio Gabriel Ben Dor: Minorities and the state in the Arabe world, Lyme Reinner , Inc, 1999, pp 23, 38

(15): Salem Chaker : « Quelques évidences sur la question Berbère », In, Confluences méditerranées ;Comprendre l'Algérie , N° 11 été 1994 , p 108 .

(*): voir : Yassine Temlali : « Le mouvement pour l'Autonomie de la Kabylie (MAK) , In Babel Med magazine on line des cultures méditerranées , Rome , Italie , 31.07.2008 , In

www.babelmed.net/paris/Algérie/le_moubement php ?C :34458m :36/p :fr.ttf . Consulté le 22/01/2009, à 17h.

(16): Brahim Salhi : Elites entre modernisation et retraditionalisation ; les acteurs de la contestation politique et identitaire en Kabylie , 1980 - 2001 , op.cit , pp 115 , 180 .

(17) : إسماعيل قيرة و آخرون : مستقبل الديمقراطية في الجزائر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، يناير 2002 ، ص 213 .

(18):جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء5 ، دون دار نشر، القاهرة، مصر، 1958، ص 19

(19) : سليمان عشراتي : الشخصية الجزائرية ، المرجع السابق ، ص ص 199 ، 203

(20) : إحسان حقي : الجزائر العربية ، بدون دار نشر ، لبنان ، 1961 ، ص 18 .

(21) : طيبي غماري : " هوية الأزمة أم أزمة الهوية "، في مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، الصادرة عن جامعة باتنة ، العدد 15 ، ديسمبر 2006 ، ص ص 59 ، 60 .

(22): المرجع نفسه ، ص 60 .

(23): Bernard This : « Naitre » , In : Christian de la campagne et Robert Maggiori : Philosopher : Les interrogations contemporaines ; Matériaux pour enseignement , Fayard , Paris , 1980 , pp 67 , 93 .

24 Abd El Nour Arezki : « Le devenir des langues dans la mondialisation économique »In : Réflexions : analyse littéraires et linguistiques, université de Abd El Rahmen Mira, Bejaïa, Janvier 2002, p 77.

(*) : لا يعتبر (محمد حربي) مؤرخا عاديا، فكتاباته، لا يمكن إدراجها ضمن البحوث التاريخية المحضة، بل هي مزيج من التقاطعات بين التحاليل السوسيولوجية، السياسية و الاقتصادية لتاريخ الجزائر . هذه التحاليل التي لا يمكن استيعابها إلا بالقراءة التنسيقية لسلسلة الأعمال التي أخرجها، وذلك مثل :

• Mohamed Harbi : Aux origines du FLN : Le populisme révolutionnaire en Algérie, Christian Bourgois, Paris, 1975.

Mohamed Harbi : La guerre d'Algérie (1954 – 2004) : La fin de l'amnésie, Robbert Laffont, Paris, 2004.

Mohamed Harbi : Une vie débout : mémoires politiques, tome 1 : 1945 – 1962 , La découverte et Cahier libres, Paris, 2001.

(25): Mohamed Harbi : « L'Algérie et son destin : Croyants ou citoyens», Paris, 1992, pp 210, 211.

26): Gilbert Grand Guillaume : « les représentations culturelles et politiques dans la société Algérienne d'hier et d'aujourd'hui », op-cit, pp 89 , 99 .

(27): Bénédict Anderson : L'imaginaire national : réflexions sur l'origine et l'essor du nationalisme, traduit par Emmanuel Douzot, la découverte, Paris, 2002, pp 17, 20

(28): Hassan Ramaoun: Enseignement de l'histoire et conscience nationale », In Revue de Confluences méditerranée, Paris, N° 11 , été 1994 , pp 25 , 32

(*) : هي المقولة الإيطالية " Il primo bisogno d'Italia é che si formano Italiani " ، لصاحبها الكاتب و السياسي Massimo d'Azeglio ، الذي وجهها للسلطات ، حيث أشار للأولويات المطلقة التي يجب تجسيدها أنظر :

)Massimo D'Azeglio : Imiciricordi , Einaudi , Torino , 1971 , pp 5 , 6 .

(29): Mohamed Harbi : « Consolider la démocratie, préparer l'Algérie, et le Maghreb à entrer le XXI siècle, », In : Etudes coloniales ; revue en ligne :
http://étudescoloniales.canalblog.com/archives/2006/06/18/2112428.html
.Consulté le 25/01/2009. À 15h.

((30) : Maxime Rodinson : « L'islam et les nouvelles indépendances », In Marxisme et monde musulman , édition Seuil , Paris , 1972 , p 187 .

31):Gilbert Grand Guillaume:« Les enjeux de la question des langues en Algérie » ,In Les langues de la méditerranées, s/la dir. de Robert Bislolfi, édition l'Harmattan, les Cahiers de confluences, Paris, 2002, pp141, 165 .

(32) : بن عامر كريمة : " الهوية و الدين : التجربة الجزائرية نموذجا " ، في فعاليات اليوم الدراسي " الجزائريون و رحلة البحث عن الهوية " ،المرجع السابق، ص ص 43 ، 43 .

(*): voir Ernest Renan : Qu'est – ce qu'une nation, chapitre II, de conférence faite à la Sorbonne, le 11 Mars 1882, saisie du texte : S. Pestel pour la collection électrique de la bibliothèque municipale de Lisieux, cedex, 1997.

(33): Gilbert Meynier : « Mohamed Harbi : Citoyenneté et histoire national et universel » , In Etudes coloniales , op.cit .

(34): Gilbert Grand Guillaume:« pour une anthropologie de l'arabisation au Maghreb »,In Revue de Peuples Méditerranéens,Paris, N° 01,1977,pp 95, 121

(35): Claude Collot et Jean Robert Henry : Le mouvement national Algérien : texte 1912 – 1954, l'Harmattan, Paris, 1978, pp 177, 179.

(36) :طيبي غماري: "هوية الأزمة أم أزمة الهوية" ، المرجع السابق، ص ص 61-63.

37):Mahfoud Keddache:La vie politique à Alger, SNED, Alger,1970, pp53, 78

(38) : ذباح عبد الهادي : الحركة الوطنية 1919 – 1939 ، في منتديات الجزائر التربوية التعليمية ، ضمن الرابط :

http://www.educdz.com/montada/attachements/forum96/455-1919-1993.doc. Consulté le 26/01/2009 a 11h.

(39): شريط أمين: التعددية الحزبية في تجربة الحركة الوطنية (1919-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 6.

(40) : طيبي غماري : المرجع السابق ، ص ص 63 ، 64 .

(*) : أنظر : النصوص المؤسسة للجمهورية، الصادرة عن رئاسة الجمهورية ، في الرابط :

http://www.el.mooradia.dz/arabe/symbole/textes/symbolear.htm.Consulté le 22/01/2009à 11h30. تمت زيارة الموقع يوم 2006/02/21 ، على الساعة 08 سا09

(41): Mezouar Belakhdar : « identité et modernité »,In فعاليات اليوم الدراسي " الجزائريون و رحلة البحث عن الهوية "، مرجع سابق ، ص ص 78 ، 79

42): Xavier Raufer et autres :Atlas mondial de l'activisme islamique, centre de recherche sur les menaces criminelles contemporaines, Paris , 1990 , pp 26 , 36 .

(43): Salem Chaker : « Berber challenge in Algeria : the state of the question» ,In race, Gender and Class , Southern university at new Orleans , 8/3 , 2001 , pp 135 , 156

(44): إسماعيل قيرة و آخرون : المرجع السابق ، ص 155 .

(45 : طيبي غماري : المرجع السابق ، ص 70 .

(*) : للمزيد أنظر : الفصل الخامس والمعنون بالوضع السياسي الراهن: العنصر الخاص بالأحزاب السياسية في : مستقبل الديمقراطية في الجزائر ، لإسماعيل قيرة و آخرين : ص ص 151 ، 176 .

(46) : طيبي غماري: " هوية المثقف الجزائري بين الإسلامية و العلمانية "، في: فعاليات اليوم الدراسي " الجزائريون و رحلة البحث عن الهوية " ، المرجع السابق ، ص ص 94 ، 101 .

(47) : Monique Gadant : « Après octobre 88 : la crise du nationalisme et ses enjeux », In Revue de Naqd , N° 02 , février / Mai 1992 , Alger , p 71 .

(48): كريمة بن عامر ، المرجع السابق ، ص 40 .

(49): طيبي غماري : "الهوية الأزمة أم أزمة الهوية" ، المرجع السابق ، ص 71 .

(50): Sadik Djala Al Azm : « Un difficile dialogue de civilisation : sur l'islam et la société et l'occident, In Le monde diplomatique, septembre 1999, pp 16, 17.
(51): Lahouari Addi : Les mutations de la société Algérienne : famille et lieu social dans l'Algérie contemporaine, la découverte, Paris, 1999, pp 74, 78.
(52): Georges Morin : L'Algérie, édition le Cavalier bleu, Paris, 2003, p 61.
53): Gilbert Grand Guillaume : « Langue ; identité, violences : L'engrenage Algérien » , In : Douleur et invention du politique Algérien , édition Démosthène , Caen université 1998 , pp 11 , 28
(54): Henri Boyer : Plurilinguisme, contact ou conflit de langue, L'Harmattan , Paris 2000 , p 162 .
(55): Gilbert Grand Guillaume : « Langue, identité, violences : l'engrenage Algérien » ; op.cit, pp 11, 28.
(56): Khaoula Taleb El Ibrahimi : les Algériens et leurs langues, op.cit, p 79.
(57): Idem, p 79.
(58): Idem, p 79.
(59) : عمار هلال: المرجع السابق، ص 117.
(60): Fanny Colonna : les instituteurs Algériens 1883, 1939, office des publications universitaires, Alger, 1975, pp 111, 115.
(61): D. Dufour : « Les trois refoulements du développement algériens », In Peuples méditerranéens, N° 1978 , 1989 , p 157
(62): Idem, pp 155, 156.
(63): Assia Djebar : « L'amour, la fantasia », édition J.C lattés et Enal 1985, réédition Albin Michel, 1995, Paris, 1985, p 240.
(*) : ترادف هذه الجملة ما يلي : La langue française est la langue marâtre , par opposition à la langue maternelle.
(64: D. Morsli : « Expressions identitaires du sujet face aux langues ; le cas de l'Algérie », In : Langage et praxis, Actes de colloque international, université de Montpelier, Paris, 1990, p 33.
(65): Saida Kanoua : « Culture et enseignement du français en Algérie », In Synergies Algérie, N° 02, 2008, p 186.

(66) : Georges Morin, op.cit, pp 61, 66.

(67):Habib Tengour: « Le fourvoiement des élites», entretien avec Fathi Benslama, in :Intersignes ,N° 10: penser l'Algérie, 1995 , p 77 .

(68): Op-cit, p 77.

(69): Georges Morin; op.cit, p 64.

(70: محي الدين عميمور: " اللغة وطنا "، في جريدة الشرق الأوسط، بـــ 17 يناير 2009،عدد 8816 .

(71): Rabeh Sabaa : « La langue française en Algérie : un imaginaire linguistique en acte », In , El Watan, Alger, 01 septembre 1999, p 7.

(72): Abderrahim Youssi : « Langue et expression littéraire écrite : un trilinguisme complexe » In Maghreb, peuples et civilisation, réalisé sous la direction de Camille et Yves Lacoste, La découverte, Paris, 2004, pp 161, 162.

(73): Mahfoud Keddache : « La guerre d'Algérie au miroir des décolonisations françaises », In Actes du colloque international en l'honneur de Charles .Ageron, Sorbonne, 2000, édition société française d'histoire d'outre – mer, 2000, pp 677, 683.